من خطبه المتفرقة
صلوات الله وسلامه عليه

(٥٠) أخرج أبو يعلى والبزار: عن أبى بكر الصديق ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ على أعواد المنبر يقول:

«اتَّقوا النَّار ولَوْ بشِقِّ تمرة، فإنها تُقيمُ العوجَ، وتدفعُ ميتةَ السوءِ، وتقعُ مِنَ الجَائع مَوقعَها مِنَ الشَّبعان».

كذا فى الترغيب (ج٢ ص١٣٤)

(٥١) وأخرج أحمد وابن أبى شيبة وابن ماجه: عن عامر بن ربيعة، عن أبيه ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول:

«مَنْ صلَّى علىَّ صلاةً لم تزلِ الملائكةُ تصلِّى عليهِ ما صلَّى علىَّ، فَلْيُقِلَّ عبدٌ مِنْ ذلكَ أوْ لِيُكْثِرْ».

كذا فى الترغيب (ج٣ ص١٦٠)

(٥٢) وأخرج ابن جرير: عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال:

«مَن سرَّه أن يُزَحْزَح عَنِ النَّار ويُدخَل الجَنَّةَ فلْيُدركْهُ موتُه وهو يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، ولْيأتِ إلى النَّاسِ ما يُحبُّ أن يُؤتَى إليه».

كذا فى الكنز (ج١ ص٧٦)

(٥٣) وأخرج الشيخان: عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال:

« **لَوْ تَعلمونَ ما أعلمُ لَضَحكتُم قليلاً، ولَبكيتُم كثيراً** ». فغطَّى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين(١).

وفى رواية: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شىء فخطب فقال:

«**عُرِضتْ علىَّ الجَنَّةُ والنَّارُ فلَمْ أرَ كاليومِ فى الخَيرِ والشَّرِّ، ولو تعلمونَ ما أعلمُ لَضَحكتُم قليلاً ولَبكيتُم كثيراً**». فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه، غطوا رءوسهم ولهم خنين.

كذا فى الترغيب (ج٥ ص ٢٢٦)

(٥٤) وأخرج ابن أبى حاتم: عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية:

﴿**إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ**﴾ (٢).

قال النبى ﷺ:

«**أمَّا أَهْلُهَا الَّذين هُمْ أَهْلُها فَلا يموتونَ فِيهَا ولا يَحْيونَ، وأَمَّا الذينَ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِها فإنَّ النَّارَ تمسُّهم ثُمَّ يقومُ الشُّفَعَاء فَيَشْفَعُونَ،**

---

(١) الخنين: ضرب من البكاء دون الانتحاب، وأصله خروج الصوت من الأنف.
(٢) سورة طه: ٧٤.

فَتُجْعَلُ الضَّبائِر[1] فيُؤتَى بِهِمْ نَهْراً يقالُ له الحَيَاة ـ أو الحَيَوَان ـ فيَنبتونَ كَما ينبتُ العُشبُ فى حميلِ[2] السَّيل».

كذا فى التفسير لابن كثير (ج ٣ ص ١٥٩)

(٥٥) وأخرج ابن أبى الدنيا وابن النجار: عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال:

«أَحْسِنوا ـ يا أيُّها النَّاسُ ـ بربِّ العالمينَ الظَّنَّ، فإنَّ الرَّبَّ عندَ ظَنِّ عَبْدِه بِه».

كذا فى الكنز (ج٢ ص ١٤٣)

(٥٦) وأخرج الحاكم فى مستدركه (ج٤ ص ٤٣٦): عن أبى زُهير الثقفى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى خطبته:

« يا أيُّها النَّاسُ.. تُوشكونَ أنْ تَعْرِفوا أهلَ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ـ أو قال: **خِيَارَكُم مِنْ شِرَارِكُمْ »**. فقال رجل من الناس: بِمَ يا رسول الله؟. قال: **« بالثَّنَاءِ الحَسَنِ والثَّنَاءِ السَّيِّئ، أنتُم شهودُ بعضِكم على بعضٍ »**.

(قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، وقال الذهبى: صحيح).

---

(١) الجماعات، جمع ضبارة.

(٢) هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء أو غيره، بمعنى: محموله.

(٥٧) وأخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم: عن عبد الله بن ثعلبة عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فأمر بصدقة الفطر صاع تمر أو صاع شعير عن كل واحد، أو قال:

«**عَنْ كُلِّ رأسٍ ـ الصَّغيرِ والكبيرِ والحُرِّ والعَبْدِ**».

كذا فى الكنز (ج٤ ص ٣٣٨)

(٥٨) وأخرج ابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان، وابن عساكر: عن الصائب بن مهجان، من أهل الشام، وكان قد أدرك الصحابة، قال:

لما دخل عمر ﷺ الشام حمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قال:

إن رسول الله ﷺ قام فينا خطيباً كقيامى فيكم، فأمر بتقوى الله، وصلة الرحم، وصلاح ذات البين، وقال:

«**عَلَيكُمْ بالجَمَاعَة** ـ وفى لفظ: **بالسَّمع والطَّاعَة ـ فإنَّ يدَ اللَّه علَى الجَمَاعَة، وإنَّ الشَّيطانَ مَعَ الوَاحِد وهُوَ مِنَ الاثنينِ أَبْعَدُ، لا يخلُونَّ رجلٌ بامرأة فإنَّ الشَّيطانَ ثالثُهما، ومَنْ سَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ وسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فَهِيَ أمارةُ المُسلم المُؤمن. وأمارةُ المنافق: الَّذى لا تَسوؤه سَيِّئتُه ولا تسرُّه حسنتُه، إنْ عَمِلَ خيراً لَمْ يَرجُ من الله فى ذلكَ**

الخـيرِ ثواباً، وإنْ عَـملَ شَرّاً لمْ يخفْ مِنَ اللهِ فى ذلكَ الـشَّرِّ عقـوبةً، فأجْـملوا فى طلبِ الدُّنيـا فإنَّ اللَّهَ قَـدْ تَكَفَّلَ بأرزاقِكم، وكُلٌّ سيـتمُّ له عملُه الذى كانَ عـاملاً، اسْتَعـينوا باللـهِ علَـى أعمالِكـم فإنَّـه يَمحُو مـا يشاءُ ويُثْبِتُ وعِندَه أُمُّ الكِتَابِ ».

صلى الله على نبينا محمد وعلى آله، وعليه السلام ورحمة الله، والسلام عليكم.

(قال البيهقى وابن عساكر: هذه خطبة عمر بن الخطاب على أهل الشام أثرها عن رسول الله ﷺ).

كذا فى الكنز (ج٨ ص ٢٠٧)

* * *

من مواعظ الرسول
صلوات الله وسلامه عليه
ووصاياه

* أخرج ابن حبان في صحيحه واللفظ له، والحاكم وصححه: عن أبي ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله . . ما كانت صحف إبراهيم ؟. قال:

«كانتْ أمثالاً كلُّها.. أيُّها المَلِكُ المسلَّطُ المُبتَلَى المَغْرورُ.. إنِّي لم أبعثْكَ لتجمعَ الدُّنيا بعضَها على بعضٍ.. ولكنِّي بعثتُكَ لتَردَّ عنِّي دعوةَ المظلوم، فإنِّي لا أردُّها وإنْ كانتْ مِنْ كافر. وعلَى العَاقِلِ مَا لَمْ يَكنْ مَغلوباً على عقله: أنْ يكونَ له ساعاتٌ، فسَاعةٌ يناجِي فيها رَبَّه، وسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فيها نَفْسَه، وساعةٌ يتفكَّر فيها في صُنع الله عزَّ وجلَّ، وساعةٌ يَخْلُو فيها لحاجته مِنَ المَطْعمِ والمَشْرب. وعلى العَاقِلِ أنْ لا يكونَ ظَاعِنًا[1] إلا لثَلاث: تزوُّد لمَعَاد، أو مَرَمَّة لمَعَاش، أو لذَّة في غيرِ مُحرَّم. وعلى العَاقلِ أنْ يكونَ بَصيرًا بزمانه، مُقْبِلاً على شانه، حَافِظاً لِلِسَانه، ومَنْ حَسبَ كلامَهُ مِنْ عمله، قَلَّ كلامُه إلاَّ فيما يَعنيه».

قلت: يا رسول الله . . . فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟

---

(١) الظعن، أي: السفر.

قال : «**كانتْ عبَرًا كُلُّها: عجبتُ لِمَنْ أيقنَ بالموتِ ثمَّ هو يفرحُ، عجبتُ لمنْ أيقنَ بالنَّارِ ثمَّ هو يضحكُ ، عجبتُ لمنْ أيقنَ بالقَدَرِ ثمَّ هو يَنْصَبُ، عجبتُ لمنْ رَأى الدُّنيا وتَقلُّبَهَا بأهْلِها ثم اطمأنَّ إليها، عجبتُ لمنْ أيقنَ بالحِسَابِ غَدًا ثم لا يَعْمَلُ**» .

قلت : يا رسول الله . . أوصنى . قال :

« **أُوصيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فإنَّها رأسُ الأمْرِ كُلِّه**». قلت : يا رسول الله . . زدنى . قال :

«**عليكَ بتلاوةِ القُرآنِ وذِكْرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ؛ فَإنَّه نورٌ لكَ فى الأرضِ وذِكْرٌ لكَ فى السَّماء** ». قلت : يا رسول الله . . زدنى . قال :

« **إيَّاكَ وكَثْرَةَ الضَّحِكِ فَإنَّه يُميتُ القَلْبَ ويذهبُ بِنُورِ الوَجْه**». قلت : يا رسول الله . . زدنى . قال :

«**عليكَ بالجِهَادِ فَإنَّه رهبانيَّةُ أُمَّتِى**». قلت : يا رسول الله . . زدنى . قال :

« **أَحِبَّ المَسَاكينَ وجَالِسْهُمْ**». قلت : يا رسول الله . . زدنى . قال :

«**انظرْ إلى مَنْ هو تَحْتَكَ ولا تنظرْ إلى مَنْ هو فَوْقَكَ، فإنَّه أَجْدَرُ أنْ لا تَزْدَرِىَ**(١) **نعمةَ اللهِ عندَك**». قلت : يا رسول الله . . زدنى . قال :

---

(١) الازدراء : الاحتقار .

«**قُل الحقَّ وإنْ كان مُرّاً**». قلت: يا رسول الله . . زدنى . قال :

« **لِيَـرُدَّكَ عَنِ النَّاسِ ما تَعلمُـه مِنْ نفسكَ، ولا تَـجِدْ**[1] **عَلَيهِمْ فِيمَا تَأتِى. وكَفَى بِكَ عَيباً أنْ تعرفَ مِنَ النَّاسِ ما تجهلُه مِنْ نفسكَ، وتجدَ عليهم فِيمَا تَأتِى**» . ثم ضرب بيده على صدرى ، فقال :

« **يَا أبا ذرٍّ.. لا عَقْلَ كـالتَّدبير، ولا وَرَع كَالكَفِّ، ولا حَـسَبَ كحُسْنِ الخُلُقِ**» .

قـال المنذرى فى التـرغـيب (ج٣ ص ٤٧٣) : انفـرد به إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى عن أبيه، وهو حديث طويل فى أوله ذكر الأنبياء عليهم السلام، ذكرت منه هذه القطعة لما فيها من الحكم العظيمة والمواعظ الجسيمة ـ انتهى .

وقد أخرج الحديث ـ بتمامه ـ أبو نعيم فى الحلية (جـ١ ص١٦٦) من طريق إبراهيم بن هشام .

وأخرجه أيضاً ـ بتمامه ـ الحسن بن سفيان وابن عساكر ، كما فى الكنز (ج٨ ص ٢٠١) .

* وأخرج الرامهرمزى فى الأمثال : عن عائشة ﵂ قالت : قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه :

«**أتَدْرُونَ ما مَثَلُ أحَدِكم ومَـثَلُ أهْلِه ومَالِه وعَمَلِه**» ؟ . فقالوا : الله ورسوله أعلم . فقال :

---

(١) أى : لا تغضب .

«إنَّما مـثَلُ أحدكم ومثَل مـاله وأهله وولده وعمله: كَـمثلِ رَجُلٍ له ثلاثةُ إخوةٍ ، فلمَّـا حَضرتْهُ الوفـاةُ دَعا بعضَ إخوته ، فقـالَ: إنَّه قد نزلَ بِى مِنَ الأمْـرِ ما تَرى.. فـمَالِى عِندَك، وَمـالِى لَدَيْك ؟. فقـال: لَكَ عِنْدِى أنْ أُمَـرِّضَك، وأنْ لا أَمَلَّكَ، وأنْ أقـومَ بشَأْنِكَ، فـإذا متَّ غَـسَّلْتُكَ وكَفَّنتُكَ وحَملتُك مَعَ الحَاملِـين.. أَحْمِلُكَ طَورًا، وأميطُ عنكَ طورًا، فإذا رجعتُ أثنيتُ عليكَ بـخيرٍ عندَ مَنْ يَسـألنى عَنْكَ: هذا أَخُوه الَّذِى هو أهلُه فَمَا تَرونَه» ؟ . قالوا: لا نسمع طائلاً[1] يا رسول الله . فقال:

«ثمَّ يقولُ لأخيهِ الآخَرَ: أتَرى مَـا قَدْ نزلَ بِى .. فَمالِى لديكَ، ومالى عِندَكَ ؟. فيـقولُ: ليسَ لكَ عِنْدِى غَنَاء إلا وأنتَ فى الأحيـاء ، فإذا متَّ ذُهبَ بكَ فى مَـذْهَبٍ، وذُهبَ بى فى مَـذْهَب، هَذا أخُوه الّذِى هو مـالهُ، كيفَ تَرونه» ؟ . قالوا: لا نسمع طائلاً يا رسول الله . فقال:

« ثُمَّ يقـولُ لأخيـهِ الآخَرَ: أترى مَـا قَدْ نزلَ بِى ومـا ردَّ علَىَّ أهلى ومالى.. فـمَالى عِندَكَ ومالِى لديك؟. فـيقولُ: أنَا صاحـبُكَ فى لَحْدِكَ، وأَنيسُكَ فى وَحْـشَتِكَ، وأقعدُ يومَ الوَزْنِ فى مِيـزانِكَ: هَذا أخُوه الَّذِى هو عملُه.. كيفَ تَرونه»؟ . قالوا: خير أخٍ وخير صاحب يا رسول الله . قال: « فإنَّ الأمْرَ هَكَذا » .

---

(١) أى: لا نسمع شيئاً فيه منفعة .

* * قالت عائشة: فقام إليه عبد الله بن كرز فقال: يا رسول الله . . أتأذن لى أن أقول على هذا أبياتاً ؟ . فقال: «نعم». فذهب فما بات إلا ليلة حتى عاد إلى رسول الله ﷺ ، فوقف بين يديه واجتمع الناس وأنشأ يقول:

فإنى وأهلى والذى قَدَّمَتْ يدى ... كداعٍ إليه صَحْبَه ثم قائلُ
لإخوته إذ هُمْ ثلاثةُ إخوةٍ ... أعينوا على أمرٍ بىَ اليوم نازلُ
فراقٌ طويلٌ غيرُ مُتَّقٍ به ... فماذا لديكم فى الذى هو غَائِلُ[1]
فقال امرؤ منهم: أنا الصاحبُ الذى ... أُطيعُكَ فيما شِئْتَ قبل النَّزائِلِ[2]
فأمَّا إذَا جَدَّ الفراقُ فإنَّنى ... لما بيننا من خُلَّةٍ[3] غيرُ واصِلِ
فَخُذْ ما أردتَ الآن منى فإنَّنِى ... سَيُسْلَكُ بى فى مَهيلٍ[4] من مَهائِلِ
فإنْ تُبقنى لا تُبقِ فاسْتَنْفِدْنَنِى ... وعَجِّلْ صلاحًا قبل حتفٍ[5] مُعاجِلِ
وقال امرؤ[6]: قد كنتُ جدًا أُحبُّه ... وأُوثِرُهُ من بينهم فى التَّفاضُلِ
غَنائى أنِّى جاهدٌ لك ناصحٌ ... إذا جَدَّ جِدُّ الكرب غيرُ مُقاتِلِ
ومُتَّبعُ الماشين أمشى مُشَيِّعًا ... أُعينُ برِفْقٍ عَقِبَهُ كُلَّ حَامِلِ

---

(١) أى: الموت .
(٢) جمع نازلة، وهى الشِّدَّة .
(٣) أى: الصداقة . والمراد بالمرء هنا المال .
(٤) أى: فى طريق آخر، والمراد أن ورثته سيأخذون المال وينفقونه كيفما شاءوا .
(٥) أى: الموت .
(٦) المراد هنا: الأهل .

إلى بيتِ مثواكَ الذى أنتَ مُدْخَلٌ ... أُرجِّع مقروناً بما هو شَاغِلِى

كَأنْ لم يكُنْ بينِى وبينَك خُلَّةٌ ... ولا حُسْنُ وُدٍّ مَرَّةً فى التَّبَاذُلِ[1]

فَذَلِكَ أهلُ المَرْءِ ذاكَ غَناؤهم ... وليس وإن كانوا حراصاً بِطَائِلِ

وقال امرؤ[2] منهم: أنا الأخ لا ترى ... أخاً لك مثلى عند كرب الزلازِلِ

لدى القبر تلقانى هنالكَ قاعِدًا ... أُجادِل عنك القول رجع التجادُلِ

وأقعد يومَ الوزنِ فى الكفَّةِ التى ... تكون عليها جاهداً فى التَّثَاقُلِ

فلا تَنْسنِى واعلمْ مَكَانى فإنَّنى ... عليك شفيقٌ ناصحٌ غيرُ خَاذِلِ

فذلك ما قدَّمتَ من كل صالحٍ ... تُلاَقيه إن أحْسَنْتَ يوم التواصُلِ

* * *

فبكى رسول الله ﷺ وبكى المسلمون من قوله، وكان عبد الله بن كرز لا يمر بطائفة من المسلمين إلاَّ دعوه واستنشدوه، فإذا أنشدهم بكوا.

كذا فى الكنز (ج٨ ص١٢٤)

وأخرجه أيضاً جعفر الفريابى فى كتاب «الكُنى» له وابن أبى الدنيا فى «الكفالة» كلهم من طريق محمد بن عبد العزيز الزهرى عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ـ نحوه، كما فى الإصابة (ج٢ ص٣٦٢).

---

(١) وهو البذل والعطاء.

(٢) وهو العمل الصالح.

* وأخرج أحمد وأبو داود وابن خزيمة : عن البرَاء بن عازب رضي الله عنه أنه قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولمَّا يُلْحد . فجلس رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجلسنا حوله وكأنَّ على رءوسنا الطيرَ ، وفى يده عودٌ ينكتُ به فى الأرض ، فرفع رأسه فقال :

« **اسْتَعيذوا بالله مِنْ عذابِ القبرِ - مرتين أو ثلاثاً - ثم قالَ: إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كانَ فى انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ على الآخرة، نزلَ إليه ملائكةٌ منَ السَّماء بِيضُ الوُجُوه كأنَّ وجوهَهُم الشَّمسُ.. مَعَهم كَفَنٌ مِنْ أكفانِ الجَنَّة، وَحَنُوطٌ[1] من حَنُوط الجَنَّة حتَّى يَجلسوا منْه مَدَّ البَصَر. ثمَّ يجيءُ مَلَكُ المَوتِ عليه السَّلام حتى يجلسَ عندَ رأسه، فيقولُ : أيَّتها النَّفْسُ الطَّيبة : اخْرُجِي إلى مغفرةٍ مِنَ الله وَرِضْوَانٍ .** قال: **فتخرجُ تسيلُ كما تسيلُ القطرةُ مِنْ فِي[2] السِّقَاء، فإذا أخذَها لَمْ يَدَعوها فى يَدِهِ طرفةَ عَيْنٍ حتَّى يأخذُوها فَيَجعلوها فى ذلكَ الكَفَنِ وفى ذلكَ الحَنُوط، ويخرجُ منْها كأطيَبِ نفحةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ على وجهِ الأرضِ.** قال : **فَيصعَدون بِهَا فلا يَمرُّونَ علَى ملأٍ منَ المَلائكة إلاَّ قالوا: ما هَذا الرُّوحُ الطَّيب؟ فيقولون: فلانُ بنُ فلانٍ ، بأحسَنِ**

---

(١) حنوط ، كرسول : طِيبٌ يُخلط للميت خاصة ، وكل ما طُيّب به الميت من مسك وغيره .

(٢) فى : فم .

أسمائه التى كانوا يُسَمُّونَهُ بها فى الدُّنيا.. حتَّى ينتهوا بِهِ إلى السَّماءِ الدُّنيا فَيَستفتحونَ له، فيُفتَح لهم. فيُشَيِّعُهُ من كُلِّ سَماءٍ مُقَرَّبوها إلى السَّماءِ التى تليهَا حتَّى يُنْتَهَى به إلى السَّماءِ السَّابعةِ . فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكتُبوا كتابَ عَبْدِى فى علِّيين وأعيدوه إلى الأرضِ، فإنِّى منها خلقتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومِنْها أُخرجُهم تَارةً أُخْرى. قال: فتُعَادُ روحُهُ فى جَسَدِهِ فيَأتيه مَلَكَانِ فيُجلِسَانه.. فيقولان له: مَن رَبُّكَ؟. فيقول: رَبِّىَ الله . فيقولانِ له: وما دِينُك؟. فيقول: دِينِىَ الإسلام. فيقولانِ له: ما هَذا الرَّجُلُ الذى بُعِثَ فيكم؟. فيقولُ: هو رسولُ الله ﷺ . فيقولانِ له: وما علْمُك؟ . فيقول: قرأتُ كتابَ اللهِ فآمنتُ به وصَدَّقتُ . فيُنادى مُنادٍ فى السماء: أنْ صَدَقَ عَبْدِى فأفرشوهُ مِنَ الجَنَّة، وألبسوهُ مِنَ الجَنَّة، وافتحوا له باباً إلى الجَنَّة. قال: فيأتيه مِنْ رَوْحِهَا[1] وَطِيْبِهَا ويُفْسَحُ له فى قبرِهِ مَدُّ بصرِهِ. ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوَجْهِ.. حَسَنُ الثِّياب.. طيِّب الرِّيحِ.. فيقولُ : أبشرْ بالَّذى يَسُرُّك، هَذا يَومُكَ الذى كنتَ تُوعَد . فيقولُ له: مَن أنتَ .. فوجهُكَ الوجهُ يجيءُ بالخيرِ ؟. فيقول: أنا عَمَلُكَ الصَّالح . فيقول: رَبِّ أقِمِ الساعةَ حتَّى أرجعَ إلى أهلى ومالى. قال : وإنَّ العبدَ

---

(١) بفتح الراء وسكون الواو : الرحمة .

الكافرَ إذا كانَ فى انقطاعٍ مِنَ الدنيا وإقبالٍ على الآخرةِ : نزلَ إليه ملائكةٌ مِنَ السَّماءِ سُودُ الوُجُوهِ مَعَهُمُ المُسُوحُ[1] فيجلسونَ منْهُ مَدَّ البصَرِ، ثم يجيءُ مَلَكُ الموتِ حتَّى يجلسَ عِنْدَ رأسِه، فيقول: أيَّتُها النَّفْسُ الخَبيثةُ : اخْرُجِي إلى سَخَطٍ من اللهِ وغَضَبٍ.. فَتَفَرَّقُ فى جَسَدِهِ فيَنتزعُها[2] كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ[3] مِنَ الصُّوفِ المبلولِ.. فيأخذُها. فإذا أخذَها لَمْ يدَعُوها فى يدِهِ طرفةَ عَيْنٍ حتَّى يَجعلوها فى تلكَ المُسُوحِ.. ويخرجُ منْهَا كأنتنِ ريحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ على وجهِ الأرضِ، فيَصعدونَ بِهَا، فلا يمرُّونَ بِهَا علَى ملأٍ مِنَ المَلائكةِ إلا قَالوا: ما هَذا الرُّوحُ الخَبيثُ ؟. فيقولون: فلانُ بنُ فلانٍ، بأقبحِ أسْمَائِه الَّتى كانَ يُسمَّى بِهَا فى الدُّنيا، حتَّى يُنْتَهَى به إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيُسْتَفْتَحُ لَهُ فلا يُفتَحُ له .

ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[4] فيقولُ اللهُ: اكتُبوا كِتَابَهُ فى سِجِّينَ

---

(١) المسوح جمع مسح - كحمل وحمول -: الثوب الخشن .

(٢) أى : ملك الموت .

(٣) السفود - بوزن التنور -: الحديدة التى يُشوى بها اللحم .

(٤) سورة الأعراف : ٤٠ . وسم الخياط : ثقب الإبرة .

فى الأرضِ السُّفلَى، فتُطرحُ رُوحُه طَرْحاً، ثُمَّ قرأ: ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ** ﴾(١) ثُمَّ قالَ: فتُعادُ رُوحُه فى جسدِه، ويأتيه مَلكانِ فيُجلِسَانِه فيقولان له: مَن رَبُّك ؟.فيقول: هاه هاه لا أدْرِى. فيقولانِ له: مَا دينُك؟. فيقول: هاه هاه لا أدْرِى. فيقولانِ له: مَا هَذا الرَّجل الّذى بُعِثَ فيكم ؟. فيقولُ: هاه هاه لا أدرى. فينادى مُنَادٍ مِنَ السَّماء: أنْ كذَبَ.. فأفرشوهُ مِنَ النَّار، وافْتَحُوا له باباً إلى النَّارِ.. فيأتيه مِنْ حَرِّهَا وسَمُومها، ويضيقُ عليه قَبْرُه حتَّى تختلفَ أضلاعُهُ.. ويأتيه رجلٌ قَبيحُ الوَجْهِ.. قبيحُ الثِّيابِ.. مُنتنُ الرِّيحِ.. فيقولُ: أَبْشِرْ بالَّذى يَسُوؤُكَ، هَذا يَوْمُكَ الَّذى كنتَ تُوعَد. فيقول: فَمَنْ أنتَ.. فَوَجْهُكَ الوجهُ يجيءُ بالشَّرِّ ؟ . فيقولُ: أنا عَمَلُكَ الخَبيث. فيقول: رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةَ» .

* وأخرج أحمد والشيخان وأبو داود والنسائى، واللفظ للبخارى: عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال:

« إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ فى قبرِه وتولَّى عَنْهُ أصحابُهُ حتَّى إنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهم، إذا انْصَرَفُوا أتاه مَلَكانِ فيُقعِدَانِه، فيقولانِ له: ما كنتَ تقولُ فى هَذا الرَّجُل؟ ـ لمحمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ

(١) سورة الحج: ٣١ .

فأمَّا المؤمنُ فيقولُ: أشهدُ أنَّه عبدُ اللَّه ورسولُه. فيُقالُ له: انظرْ إلى مَقعدِكَ فى النَّارِ قد أبدلكَ اللهُ به مقعداً مِنَ الجَنَّة، فيراهما جَميعاً.. ويُفْسَح لَهُ فى قَبْرِه سَبعون ذِرَاعاً، ويُمْلأ عليه خَضِرًا إلى يَومِ يُبْعَثُون. وأمَّا الكافرُ أو المنافقُ فيقالُ له: ما كنتَ تقولُ فى هَذا الرَّجل ؟ . فيقول: لا أدرى ، كنتُ أقولُ ما يقولُ النَّاسُ . فيُقالُ له : لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ[1] ويُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حديدٍ ضربةً بين أُذنيه.. فيَصيحُ صَيْحَةً يَسمعها مَنْ يليه غيرَ الثَّقلينِ[2]، ويُضَيَّقُ عليه قَبْرُهُ حتَّى تختلفَ أضْلاعُه ».

* وأخرج الطبرانى فى الكبير بسند حسن ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال :

«إنَّ المَوْتَى ليُعذَّبونَ فى قُبورهم حتَّى إنَّ البَهائم لَتَسْمَعُ أصْوَاتَهم» .

* وأخرج أحمد ومسلم والنسائى : عن أنس رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« لَوْلاَ أنْ لا تَدَافَنُوا[3] لدعوتُ اللهَ أنْ يُسْمِعَكُم مِنْ عذابِ القبرِ» .

---

(١) أى : لا عرفت الحق بنفسك ولا اتبعت من يعرف .

(٢) الثقلان : هما الجن والإنس .

(٣) تدافنوا ـ بفتح التاء ، على حذف إحدى التاءين ـ والمعنى : لولا الخوف من الموت والدفن بسبب سماع ذلك لدعوت الله . . .

* وأخرج الشيخان: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن عذاب القبر؟. فقال:

«**عذابُ القبرِ حَقٌّ**».

** (ولهذا) كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يَبُلَّ لحيتَهُ، فقيل له: تذكر الجنةَ والنارَ فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى؟. فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

« **القبرُ أوَّلُ منزلٍ مِنْ منازلِ الآخرةِ، فإنْ نَجَا مِنْهُ فما بَعْدَه أيْسَر، وإنْ لَمْ ينجُ مِنْهُ فما بعدَه أشَدُّ مِنْهُ** ».

وقال ﷺ:

« **مَا رَأيتُ منظراً قَطُّ إلاَّ والقَبْرُ أفظعُ منه** ».. أخرجه الترمذى وقال: حسن غريب، ورزين وزاد: قال هانئ- مولى عثمان -: سمعتُ عثمان يُنْشد:

فَإنْ تَنْجُ تَنْجُ مِنْ ذِى عَظيمةٍ وإلاَّ فإنِّى لا إخالُكَ ناجِيَا

** (وهذا) معناه أن الموت هو الواعظ الحقيقى الذى ينبغى علينا أن نتعظ به، ونعمل ألف حساب لما بعده.. قبل فوات الأوان.. وقبل أن نقول كما يحكى الله تعالى فى قرآنه مشيراً إلى ما سيقوله كل غافل عندما سيأتيه الموت.. وسيجد ملك الموت قائماً على رأسه لكى يقبض روحه:

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ (١).

* * ومن أجل هذا، فقد ورد فى الحديث الشريف أن النبى ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :

« كَفَى بِالمَوْتِ وَاعِظاً يا عُمَر».. فنقشه عمر على خاتمه.

وروى كذلك أن النبى ﷺ قال :

« أكْثِروا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ(٢) ومفرِّقِ الجماعاتِ، وتَوسَّدُوه إذا نمتُم، واجعلُوه نُصْبَ أعْيُنِكُم إذا قُمْتُم، واعْمُروا به مَجَالِسَكم، فإنَّه معقودٌ بِنَواصيكم ـ يَعنى: بما وكَلَ به منكُم ـ ويُفسِدُ نَعِيمَكُم، ويُخربُ مَصَانِعَكُمْ(٣) ويُفنيكم كما أفنى مَنْ كان قبلَكم.. فلا تَنْسَوْهُ فإنَّه لا يَنْسَاكُم، ولا تَغْفُلُوا عَنْهُ فإنَّه ليسَ بغافلٍ عَنْكُم».

وأنشدوا :

يا جَارَ أحْبَابِهِ شُهُورَا ... وجَارَ أمْوَاتِهِ دُهُورَا

لَيْسَ سُرُوراً يَعُودُ حُزْنًا ... إذَا تَأمَّلْتَهُ سُرُورَا

---

(١) سورة المنافقون : ١٠ ، ١١ .

(٢) أى : الموت .

(٣) المراد : القرى والبلاد. قال الأصمعى : العرب تسمى القرى «مصانع»، واحدتها مَصْنَعَةٌ (نقله ابن منظور فى لسان العرب).

* وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال :

«مَا مِنْ مولودٍ يُولدُ إلاّ وفى سُرَّتِه مِنْ ترابِ الأرضِ الَّتى يموتُ فيهَا» .

وأنشدوا :

أَمُرُّ عَلَى المَقَابرِ كلَّ حينٍ ... ولا أدرى بأىِّ الأرضِ قَبْرِى

وأَفْرَحُ بالغِنَى إنْ زَادَ مَالِى ... ولا أَبْكِى عَلَى نُقْصَانِ عُمْرِى

* ولله دَرُّ مَنْ قال :

أَيَضْحَكُ مَنْ للموتِ فيهِ نَصِيبُ ... ويَنْعَمْ عَيْشًا إنَّ ذا لعَجِيبُ

ويأكلُ والأيامُ تأكلُ عُمْرَهُ ... ولَيْسَ لَهُ جِسْمٌ لِذَاكَ يَذُوبُ

* وقد قرأت فى (بستان الواعظين)[1] فى شرح قول الله تعالى :

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[2] :

«يموتُ كلُّ صغيرٍ وكبيرٍ، يموتُ كلُّ أميرٍ ووزيرٍ، يموتُ كلُّ عزيزٍ وحقيرٍ، يموتُ كلُّ غنىٍّ وفقيرٍ، يموتُ كلُّ نبىٍّ وولىٍّ، يموتُ كلُّ نجىٍّ وتقىٍّ، يموتُ كلُّ زاهدٍ وعابدٍ، يموتُ كلُّ مُقِرٍّ وجَاحِدٍ، يموتُ كلُّ

---

(١) للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد بن على بن الجوزى . . طبعة دار الكتاب العربى . ص ٢٠٥ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٥ .

صحيحٍ وسَقيمٍ، يموتُ كُلُّ مريضٍ وسليمٍ، كُلُّ نَفْسٍ تموتُ غيرَ ذى العِزَّةِ والجَبَروت..» .

وأنشدوا :

أَلاَ كُلُّ مَولُودٍ فَلِلْمَوت يُولَدُ	ولَسْتُ أَرى حَيّاً عَلَيهَا يُخَلَّدُ
تَجَرَّدْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا	خَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيَا وأَنتَ مُجرَّدُ
وأَنتَ وإِنْ خَوَّلْتَ مَالاً وكَثْرَةً	فَإِنَّكَ فِى الدُّنْيَا عَلَى ذَاكَ أَوْحَدُ
وأَفْضَلُ شَىءٍ نِلْتَ مِنْهَا فَإِنَّهُ	مَتَاعٌ قَلِيلٌ يَضْمَحِلُّ وَينْفَدُ
فَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ أَعْقَبَ الذُّلُّ عِزَّهُ	فَأَصْبَحَ مَذْمُوماً وَقَدْ كَانَ يُحْمَدُ
فَلاَ تَحْمَدِ الدُّنْيَا وَلَكِنْ فَذِمَّهَا	وَمَا بَالُ شَىءٍ ذَمَّهُ اللَّهُ يُحْمَدُ

* فليكن كل هذا نُصْبَ أعيننا حتى نفهم المراد من مواعظ الرسول ﷺ ، ومن وصيته التى يقول فيها لرجل وهو يعظه[1] :

«اغتنمْ خَمْساً قبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هرمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقمِكَ، وغِنَاكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شَغلِكَ، وحَيَاتَكَ قبلَ مَوْتِكَ» .

(رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما، وقال شارح الجامع : إسناده حسن) .

---

(١) كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما .

* وعن أبى ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ أوصاه فقال له :

«زُرِ القُبورَ تَذَكَّرْ بِهَا الآخِرَةَ، واغْسِلِ المَوْتَى فإنَّ مُعالَجَةَ جَسَدٍ خَاوٍ مَوعظةٌ بَليغةٌ، وصَلِّ علَى الجنائزِ لعلَّ ذلكَ أنْ يُحزِنكَ فإنَّ الحَزِينَ فى ظِلِّ اللهِ يَتعرَّضُ كُلَّ خيرٍ».

(رواه الحاكم وقال : رواته ثقات . . والحديث صحيح)

* وعن معاذ ﷺ قال : قلت : يا رسول الله . . أوصنى ؟ . قال :

« اعبدِ اللهَ كأنَّكَ تَراه، واعْدُدْ نفسَكَ فى المَوْتَى ، واذكرِ اللَّهَ عندَ كلِّ شجرٍ وحَجَرٍ، وإذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فاعْمَلْ بِجَنْبِهَا حَسَنةً، السِّرُّ بالسِّرِّ، والعَلانِيةُ بِالعَلانِيةِ».

(رواه الطبرانى بإسناد جيد)

* وعن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله . . أوصنى؟ . فقال ﷺ :

« عَلَيكَ بالإياسِ مِمَّا فِى أيدِى النَّاسِ، وإيَّاكَ والطَّمَعَ فإنَّه الفَقْرُ الحَاضِرُ ، وصَلِّ صَلاتَكَ وأنتَ مُودِّع، وإيَّاكَ وما يُعْتَذَرُ مِنْهُ » .

(رواه الحاكم والبيهقى فى الزهد، وقال الحاكم واللفظ له : صحيح الإسناد) .

* * فلنذكر كل هذه المواعظ والوصايا المحمدية . . ونحن نلاحظ كذلك أن الكيِّس العاقل الحازم هو المشار إليه فى هذا الحديث الشريف الذى ورد :

* عن شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن النبى ﷺ قال :

« **الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نفسَهُ[1]، وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، والعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا[2] ثُمَّ تَمنَّى علَى اللَّهِ[3]** » .

(رواه ابن ماجه ، والترمذى وقال : حديث حسن)

* * نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من هؤلاء العقلاء الذين يُدينون أنفسهم ، والذين يعملون لما بعد الموت . . حتى نكون - إن شاء الله - أهلاً لدخول الجنة ، مع الأبرار . . اللهم آمين .

* * *

(١) أى : حاسبها وأنَّبها على تقصيرها وإسرافها . . وقيل : أخضعها وأذلَّها .

(٢) أى : جعل نفسه تابعة لهواها يعطيها كل ما تهوى وتشتهى .

(٣) يعنى : الأمانى الباطلة التى يزينها له الشيطان بأن الله كريم غفور رحيم غنى عنه وعن عمله . . إلخ .

آخر خطبة له ﷺ

فى يوم الخميس قبل وفاة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأيام خرج من حجرته عاصباً رأسه فرقى المنبر وأمر بلالاً فنادى فى الناس أن اجتمعوا لوصية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فاجتمعوا وغصَّ المسجد بهم ثم قام فخطبهم خطبة بليغة، قال عقبة ابن عامر:

صلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودِّع للأحياء والأموات ثم طلع المنبر، فقال:

« إنِّى بينَ أيديكُم فَرَطٌ[1] وأنا شهيدٌ عليكُم، وإنَّ موعدَكم الحوضُ، وإنِّى لأنظرُ إليه مِنْ مَقامِى هَذا، وإنِّى لَسْتُ أخْشَى عَليكُم أنْ تُشرِكوا، ولكنِّى أخْشَى عَليكُم الدُّنيا أنْ تَنافسوا فِيهَا ».

(أخرجه البخارى)

ثم قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

«إنَّ عَبْداً خَيَّرهُ اللَّهُ بَيْنَ أنْ يُؤتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وبينَ مَا عِنْدَهُ، فاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ».

---

(١) أى: سأسبقكم، فأتقدمكم إلى الآخرة.

فبكى أبو بكر، وبكى[1]، فقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو المخيَّر، وكان أبوبكر أعلمنا به. فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

«إنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ[2] بماله وصُحْبته: أبو بَكْرٍ، ولو كنتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنْ أخوَّة الإسْلام، لا يبقينَّ في المسجدِ خَوْخَةٌ[3] إلاّ خوخةُ أبي بكرٍ».

وأوصى بالأنصار فقال:

«يا مَعْشَرَ المُهَاجرينَ.. اسْتَوصُوا بالأنْصَارِ خَيراً، فإنَّ النَّاسَ يَزيدونَ، وإنَّ الأنْصَارَ عَلَى هَيئتِها لا تزيدُ، وإنَّهم كَانوا عَيْبَتِي[4]، الَّتِي أويتُ إلَيْهَا؛ فَأحْسِنُوا إلَى مُحْسِنِهِمْ، وتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ».

(أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري)

وعن ابن عباس، عن الفضل بن عباس، قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يوعك وعكاً شديداً[5] وقد عصب

---

(١) أي: أكثر من البكاء حزناً على فراق النبي ﷺ.

(٢) أمن الناس، أي: أكثرهم وداً وسماحة بنفسه وماله، وليس المراد به الامتنان بالإحسان، لأنه أذى مبطل للثواب.

(٣) باب صغير بين البيتين.

(٤) أي: خاصتي الذين أثق بهم.

(٥) الوعك - بفتح فسكون -: ألم الحمى.

رأسه. فقال: «خُذْ بيدِي يَا فَضْلُ» . فأخذت بيده حتى قعد على المنبر، ثم قال: «نَادِ فِي النَّاسِ يَا فَضْلُ» . فناديت: الصلاة جامعة، فاجتمعوا. فقام رسول الله ﷺ خطيباً، فقال:

«أما بعدُ، أيُّها النَّاسُ.. إنَّه قَدْ دَنَا مِنِّي خُلوفٌ[1] مِنْ بينِ أظهرِكم، ولنْ تَرونِي فِي هَذا المقامِ فيكُم، وقدْ كنتُ أرى أنَّ هذا غيرُ مُغْنٍ عنِّي حتَّى أقومَ فيكم مِراراً، ألاَ فمنْ كنتُ جلدتُ له ظهرًا فهَذا ظَهرِي فليستقدْ[2] مِنْهُ، ومَنْ كنتُ شتمتُ له عِرْضاً فهذا عِرْضِي فليستقدْ مِنْهُ، ومَنْ كنتُ أخذتُ منه مالاً فهَذا مَالِي فليأخذْ مِنه، ولا يقولنَّ قائلٌ: أخافُ الشَّحْنَاء مِنْ قِبَلِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ تعالى عليه وعلى آله وسلَّم. ألاَ إنَّ الشَّحْنَاءَ لَيْسَتْ مِنْ شَأنِي ولاَ مِنْ خُلُقِي. وإنَّ أحَبَّكم إليَّ مَنْ أخَذَ مِنِّي حَقّاً إنْ كَانَ له عَلَيَّ، أو حَلَلنِي فلَقِيتُ اللهَ عزَّ وَجلَّ وليسَ لأحدٍ عِنْدِي مَظْلَمَةٌ» . فقام رجل. فقال: يا رسول الله.. لي عندك ثلاثة دراهم. قال: «أمَّا أنا فلاَ أُكذِّبُ قائلاً ولا مُسْتَحلِفُه علَى يمينٍ، فِيمَ كانتْ لكَ عِنْدِي»؟. فقال: أما تذكر أنه مَرَّ بك سائل فأمرتنى فأعطيته ثلاثة دراهم. قال: «أعْطِهِ يا فَضْلُ». ثم قال

---

(١) خلوف - بضمتين - أي: قرب تخلفي عنكم فلا أحضركم لموتي.

(٢) من القود، أي: فليقتص منه.

رسول الله ﷺ : «**يا أيُّهـا النَّاسُ.. مَنْ عِنْدَهُ مِـنَ الغُلُول**[1] **شَيءٌ فَلْيَرُدَّهُ**» . فقام رجل فقال : يا رسول الله . . عندى ثلاثة دراهم غللتها فى سبيل الله قال : « **فَلِمَ غَلَلْتَهَا** » ؟ قال : كنت إليها محتاجًا . قال : «**خُذْهَا منْه يا فَضْلُ**» . ثم قال : «**يَا أيُّها النَّاسُ .. مَنْ أحَسَّ مِنْ نَفْسِه شَيئـاً فَلْيَقُمْ أدْعُو اللهَ لَهُ**» . فقام رجل ، قال : يا رسول الله . . إنى لمنافق ، وإنى لكذوب ، وإنى لشئوم . فقال عمر بن الخطاب : وَيْحَكَ أيها الرجل لقد سَتَرَكَ الله ، لو سترتَ على نفسك؟ . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **مَهْ يا بنَ الخَطَّابِ.. فُضُوحُ الدُّنيا أهونُ مِنْ فُضُوحِ الآخـرةِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْـهُ صِدْقـاً وإيمـاناً، وَأذْهِبْ عَنْهُ الشُّؤْمَ**» .

(أخرجه البيهقى وفى سنده ومتنه غرابة شديدة . قاله ابن كثير فى البداية) .

* * وتعليقى على الخطبة الأخيرة لن يكون على ما جاء فيها من التوجيهات والإشارات ، وإنما سيكون على بعض ما حدث يوم وفاة الرسول ﷺ : فقد توفى النبى ﷺ يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة هجرية[2] (٨ يونيو سنة ٦٣٢ ميلادية) وعمره ثلاث وستون سنة .

---

(١) مصدر غل ، من باب قعد ، أى : خان فى الغنيمة أو غيرها .

(٢) قال السهيلى : اتفقوا أن النبى ﷺ توفى يوم الاثنين وأنه توفى فى ربيع الأول ، غير أن أكثرهم قال : فى الثانى عشر منه .

ولما قُبض النبى ﷺ[1] دهش أصحابه دهشة عظيمة وطاشت عقولهم واختلط أمرهم. وممن اختلط عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجعل يصيح ويقول: إن رسول الله ﷺ لم يمت وتَهَدَّدَ من قاله، وأقعد على رضي الله عنه فلم يستطع حراكاً، وأخرس عثمان رضي الله عنه، وأضنى[2] عبد الله ابن أنيس حتى مات كمداً[3]، واضطرب الأمر، وجلَّ الخطب، وفدحهم هول المصيبة وحق لهم ذلك. وكان أثبتهم العباس وأبو بكر عليهما رضوان الله، فقد بلغ الخبر أبا بكر وهو بالسُّنح[4] فجاء وعيناه تَهملان[5] وزفراته تتردد فى صدره وغصصه ترتفع، وهو فى ذلك رضي الله عنه ثابت القلب حسن القول، ودخل على رسول الله ﷺ وكشف وجهه وقبَّل جبينه وجعل يبكى ويقول: بأبى أنت وأمى.. طبْتَ حياً وميتاً وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء، ولوَ أن موتك كان اختياراً لَجُدْنَا لموتك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء العيون، فأما ما لا نستطيع نفيه فكمد وإدناف[6] يتحالفان ولا يبرحان، اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن لك على بال، اللهم أبلغ نبيك عنا.

(١) كما جاء فى «الدين الخالص» ج ٧ ص ١٧٠.
(٢) أى: أصابه الضنا وهو مرض يتولد من وجع القلب.
(٣) الكمد - بفتحتين -: الحزن المكتوم.
(٤) السنح - بضم فسكون، أو بضمتين على السين والنون -: موضع قرب المدينة كان به مسكن الصديق.
(٥) همات عينه، أى: فاضت بالدموع.
(٦) أدنفه المرض، أى: أثقله.

ثم خرج وخطب الناس خطبة قال فيها :

«اشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه وخاتمُ أنبيائه، وأشهدُ أنَّ الكتابَ كمَا نزلَ، وأنَّ الدِّين كما شَرَع، وأنَّ الحَديثَ كمَا حدَّث، وأنَّ القَوْلَ كمَا قالَ، وأنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبين .

ثُمَّ قَالَ : أيُّها النَّاسُ .. مَنْ كَانَ يعبدُ مُحَمَّداً فإنَّ مُحَمَّداً قد ماتَ، ومَنْ كانَ يعبدُ اللَّهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لم يمتْ، وإنَّ اللهَ قَدْ تَقَدَّم لَكُمْ فى أَمْرِهِ فَلا تَدَعُوهُ جَزَعاً، وإنَّ اللَّهَ تَعالَى قَدِ اخْتَارَ لنبيِّهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ما عِنْدَه علَى ما عِندَكم، وقَبَضَهُ إلى ثَوابه، وخَلَّفَ فيكُم كتَابَه وسُنَّة نبيِّه فمنْ أَخَذَ بِهِمَا عرفَ، ومنْ فَرَّقَ بينَهما أَنْكَرَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ (١) وَلاَ يشغلنَّكم الشَّيطان بموتِ نَبيِّكُم ولا يلفتنَّكم عنْ دِينكم، وعَاجِلوا الشَّيطان بالخِزْيِ تُعجزوه، ولا تَستنظروهُ فَيَلْحَقَ بِكُمْ».

فلما فرغ من خطبته قال : يا عمر . . أأنت الذى بَلَغَنى أنك تقول على باب نبى الله ﷺ : والذى نفس عمر بيده ما مات نبى الله ؟ . أما علمت أن رسول الله ﷺ قال يوم كذا ـ كذا وكذا . وقال الله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(٢)، فقال عمر : والله لكأنِّى لم أسمع

(١) سورة النساء: ١٣٥ .

(٢) سورة الزمر : ٣٠ .

بها فى كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا، أشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الحديث كما حدث، وأن الله تعالى حى لا يموت، إنا لله وإنا إليه راجعون، صلوات الله على رسوله، وعند الله نحتسب رسوله، وقال:

لَعَمْرِى لقدْ أيقنتُ أنَّكَ مَيِّتٌ ولكنَّما أبدَى الذى قلتَهُ الجَزَعْ
وقلتُ: يَغِيبُ الوَحْىُ عنا لِفَقْدِه كَما غابَ مُوسَى ثمَّ يَرْجِعُ كَما رَجَعْ
وَكَانَ هَوَاىَ أن تطولَ حَيَاتُهُ وَلَيْسَ لِحَىٍّ فِى بقَا مَيِّتٍ طَمَعْ

* * *

* قال فى «الدين الخالص»: وقد ورد فى هذا أحاديث منها: حديث ابن أبى مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قُبض رسول الله ﷺ، وأبو بكر عند امرأته ابنة خارجة بالعوالى، فجعلوا يقولون: لم يمت النبى ﷺ إنما هو بعض ما كان يأخذه عند الوحى. فجاء أبو بكر فكشف عن وجهه وقبَّل بين عينيه وقال: أنت أكرم على الله أن يميتك مرتين. قد والله مات رسول الله ﷺ، وعمر فى ناحية المسجد يقول: والله ما مَات رسول الله ولا يموت حتى يقطع أيدى أناس من المنافقين كثيرَ وأرجلهم.

فقام أبو بكر فصعد المنبر فقال: **«مَنْ كانَ يعبدُ اللّه فإنَّ اللّه حىٌّ لم يمتْ، ومنْ كانَ يعبدُ محمَّداً فإنَّ محمَّداً قد ماتَ:**

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1]».

قال عمر : «فَلَكَأَنِّي لَمْ أَقْرَأْهَا إِلاَّ يومئذٍ».

(أخرجه ابن ماجه)

ثم بعد ذلك ـ وباختصار ـ بويع الصديق ﷺ بالخلافة .

* * *

(١) سورة آل عمران : ١٤٤ .

ما حدث يوم وفاة الرسول ﷺ
وما بعده

والآن ـ أخا الإسلام ـ وبعد أن وقفتُ معك على هذه النماذج المضيئة من خطب الرسول ﷺ .. إلى أن توفَّاه الله سبحانه وتعالى بعد أن بلَّغ الرسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، وهدى الأمَّةَ، وكشف الغُمَّةَ . . وبعد أن تركنا على المحجَّة البيضاء لَيْلهَا كنهارها ولا يزيغ عنها إلا هالك . .

(أريد) أن أضيفَ إلى ما وقفتُ معك عليه حول حزن الصحابة ـ عليهم جميعاً رضوان الله ـ على فراق رسول الله ﷺ لهم بجسده، وارتقائه بروحه إلى الرفيق الأعلى بجوار ربه سبحانه وتعالى (أنه) عندما تُوُفِّى رسول الله ﷺ . . اجتمع الناس فى المسجد وضجّوا بالبكاء والنحيب وأظلمت الدنيا فى عيونهم ونادى بلال: وا نبياه . . ونادت فاطمة: وا أبتاه . . ونادى الحسن والحسين: وا جدَّاه . ونادى كل من المسلمين: وا حزناه . . (لأن) موت الرسول ﷺ يُعَدُّ أكبر مصيبة ـ كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

اصْبِرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجلَّدِ ... واعلمْ بأن المَرْءَ غيرُ مُخلَّدِ
واصْبِرْ كما صبرَ الكرامُ فإنَّها ... نُوَبٌ تنوبُ اليومَ تُكشفُ فى غَدِ
وإذَا أتتكَ مُصيبَةٌ يُرثَى لها ... فاذكرْ مُصَابَكَ بالنبىِّ محمَّدِ

* * *

وكـان أول من بكاه ورثاه هو أبو بكر الصـديق ﷺ . . فلقد ورد أنه قال :

كـيفَ تلـتـذُّ جُـفُـونى بـالمنامْ بعد شُربِ المُصطفَى كأسَ الحِمَامْ[1]
إنْ يكنْ غـابَ عَنِ الـدُّنيـا فَـفِى جَنَّـةِ الخُـلْدِ لـه أعْلَى مَـقَـامْ
إنَّمَـا الـمَـقـدورُ حَـتْمٌ لازمٌ مَـا لَـنَا مِنْ بأسِـه مِـنَ اعْـتِـصَـامْ
لَيْسَ فِى الـدُّنْيَـا بَقَـاءٌ لامْـرئٍ بعـدَ مـوتِ المُـصطفَى خـيـرِ الأنامْ

* * *

ولما دُفِنَ ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قالت ابنته فاطمة الزهراء ﷺ ترثيه[2] :

اغـبَـرَّ آفاقُ الـسَّمَـاءِ وكُـوِّرتْ شَمسُ النَّهارِ وأظلمَ العَصْرَانِ
فَالأرضُ منْ بعـدِ النبىِّ كئيـبةٌ أسَفـاً عليـه كثـيرةُ الرَّجَـفَانِ
فَلْيَـبْكِه شَـرقُ البلادِ وغَـرْبُهـا ولتَـبْـكِه مُـضَـرٌ وكـلُّ يَمـانِ
وَلْيَبْكِه الطَّود[3] المُعَظَّمُ جَوُّهُ والبَيْتُ ذو الأسْـتَارِ والأرْكَانِ
يَا خَاتَمَ الرُّسْلِ المُبَارَكُ ضَوْؤُهُ صلَّى علـيكَ مُنزِّلُ الفُـرْقَـانِ

* * *

(١) الحمام ـ بكسر الحاء ـ أى : الموت .
(٢) أمام أهل بيتها . . وبينها وبين نفسها على سبيل التذكير بعظم المصيبة فى فقده صلوات الله وسلامه عليه . . دون صراخ أو عويل لأنها الزهراء ﷺ .
(٣) أى : الجبل العظيم (مختار الصحاح) .

ورثاه على ـ كرم الله وجهه ـ وبكى بالدمع وهو يقول :

لَوْ جَرَى الدمعُ علَى قَدْرِ المُصَابِ ... شَابَهَتْ أَجْفَانُنَا سَحَّ(١) السَّحَابِ
مَاتَ خَيرُ الخَلْقِ مَنْ قَدْ خَصَّهُ ... رَبُّهُ بالصَّحْبِ مِنْ خَيرِ صِحَابِ
أيُّهَا النَّاسُ لَكُم بالمُصْطَفَى ... أُسْوَةٌ فالمَوتُ يُدنِى للذَّهَابِ
ثِقُوا باللَّهِ وارْضَوا وخُذُوا ... ما قَضَى اللَّهُ بصَبْرٍ واحْتِسَابِ

* * *

ورثاه عثمان بن عفان رضي الله عنه وزاد فى البكاء وهو يقول :

وَيْحَكِ يا نَفْسُ البَدَارَ البَدَارْ(٢) ... مَا هَذِهِ الدُّنْيَا لِحَىٍّ بِدَارْ
كَمْ كَدَرتْ صَفْواً وكَمْ أَلبستْ ... مَن تَاهَ عِزّاً(٣) ثوبَ ذُلٍّ وَعَارْ
أيطْمَئِنُّ المَرْءُ فى منزلٍ ... يَرى كؤوسَ الموتِ فيه تُدارْ
ما بعدَ موتِ المُصطفَى خالدٌ ... وليسَ فِى الدُّنيا لحَىٍّ قرارْ(٤)

* * *

(١) قال فى مختار الصحاح : سحَّ الماء : صبَّه ، وسحَّ الماءُ بنفسه : سال من فوق ، وكذا المطر ، والدمع ، وبابهما ردّ .
(٢) قال فى مختار الصحاح : بدر بالشىء أسرع (وبادر) إليه أيضاً . . (وتبادر القوم) تسارعوا . . (والمراد) المسارعة إلى الله بالأعمال الصالحة قبل انتهاء الأجل . . الذى لابد له من نهاية .
(٣) أى : تفاخر بسبب غناه .
(٤) وإلى هذا يشير أحدهم فى قوله :
ولو كانت الدنيا تدوم لواحد ... لكان رسول الله فيها مخلَّدا

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه يرثيه وهو يبكى :

لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ ... عَشِيَّةَ قِيلَ قَدْ قُبِضَ الرسولُ
فَقَدْنَا الوَحْىَ والتَّنزيلَ فِينَا ... يَروحُ بِهِ ويَغْدو جِبْرَئِيل[1]
نَبِىٌّ كَانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا ... بِمَا يُوحَى إليهِ ومَا يَقُولُ
أفَاطِمُ إنْ جَزَعتِ فَذَاكَ عُذْرٌ ... وإنْ لَمْ تَجْزَعِى ذاكَ السَّبِيلُ
فَقَبْرُ أبيكِ سَيِّدُ كلِّ قَبْرٍ ... وفيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ

* * *

وقالت عمته صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ترثى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ألاَ يا رَسُولَ اللهِ كنتَ رَجَاءنَا ... وكنتَ بِنَا بَرّاً ولَمْ تَكُ جَافِيَا
وكنتَ رَحِيماً هَادِياً ومُعَلِّماً ... لَيَبْكِ عليكَ اليَومَ مَنْ كَانَ بَاكِيَا
لَعَمْرُكَ[2] مَا أبْكِى النَّبِىَّ لِفَقْدِهِ ... ولكنْ لِمَا أخْشَى مِنَ الهَرْجِ آتِيَا
كَأنَّ عَلَى قَلْبِى لِذِكْرِ مُحَمَّدٍ ... وَمَا خِفْتُ مِنْ بَعْدِ النبِىِّ المَكَاوِيَا

---

(١) إنه يعنى أننا فقدنا استمرار الوحى الذى كان ينزل به سيدنا جبريل عليه السلام على قلب الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وسلامه . (وهذا) الوحى هو النور الذى سنظل إن شاء الله تعالى نسير على هداه إلى يوم الدين .

(٢) قال فى مختار الصحاح : (لعمر) الله ، فاللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف ، تقديره : (لعَمْرُ الله قسَمى) أو (لعَمْرُ الله ما أقسم به) .

أَفَـاطِمُ صلِّى اللهُ رَبُّ مُـحَـمَّـدٍ ... علَى جَدَثٍ[1] أَمْسَى بِيَثْرِبَ ثَاوِيَا

فِدًى لِرَسُولِ اللهِ أُمِّى وخَالَتِى ... وعَـمِّى وآبائِى ونَفْـسِى ومَالِيَـا

صَدَقْتَ وَبلَّغْتَ الرِّسَالةَ صَادِقاً ... ومُتَّ صَلِيبَ العُودِ أَبْلَجَ صَـافِيَا

فَلَوْ أنَّ رَبَّ النَّاسِ أَبْقَى نَبِـيَّنَا ... سَعِـدْنا ولكنْ أَمْرُهُ كَـانَ مَاضِـيَا

عَليكَ مِنَ اللهِ السَّلَامُ تَحِـيَّـةً ... وأُدخِلْتَ جَنَّاتٍ مِنَ العَدْنِ رَاضِيَا

أَرَى حَسَنًا أَيْتَمْتَهُ وَتَرَكْتَهُ يَبْـ ... ـكِـى وَيَدْعُـو جَدَّهُ اليَوْمَ نَاعِـيَا

* * *

وأمَّا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلقد ظل يبكى رسول الله ﷺ إلى أن قال :

لَيْسَ البـكاءُ وإنْ أُطيلُ بمُـقنعِى ... الخَطْبُ أَعْظَمُ قِيـمَةً مِنْ أدْمُعِى

تَاللَّه[2] مَا جَارَ الزَّمانُ ولا اعْتَدَى ... بَأَشَدَّ مِنْ هَذَا المُصَابِ وَأَوْجَعِ

فُـقِـدَ الرَّسُـولُ فأظـلمتْ كُلُّ الدُّنَا ... والحُـزْنُ عَمَّ بكُلِّ قَلْبٍ مُـوجَعِ

مَـا زَالَ بالمَـعْـرُوفِ فِـينا آمِـراً ... يَهْدِى الأنامَ بنُورِهِ المُتَشَعْشِعِ

* * *

---

(١) قال فى مختار الصحاح : (الجدث) بفتحتين : القبر ، وجمعه (أجدث) و(أجداث) .

(٢) وهذا قسم، مع ملاحظة أن حروف القسم هى : الواو ، والباء ، والتاء .

* * كما ورد أنه ﷺ سُمع بعد موت الرسول ﷺ يبكى ويقول :

«بِأبِى أنتَ وأُمِّى يا رسولَ اللهِ: لقدْ كانَ جِذْعٌ تخطبُ الناسَ عليه، فلمَّا كثُر الناسُ اتخذتَ منبرًا لتُسمِعَهم، فما حَنَّ الجذعُ لفِراقِكَ حتى جعلتَ يدكَ عليهِ فسَكَنَ.. فأُمَّتُكَ كانتْ بالحنينِ إليكَ لما فارقتهم أَوْلَى.

بأبى أنتَ وأُمِّى يا رسولَ اللهِ : لقدْ بلغَ مِنْ فضيلتكَ عندَ اللهِ تَعالَى أنْ جعلَ طاعتكَ طاعتَه، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(١) .

بأبى أنتَ وأُمِّى يا رسولَ اللهِ : لقدْ بلغَ مِنْ فضيلتكَ عندَ اللهِ تَعَالَى أنْ أخبركَ بالعَفْوِ عنكَ قبلَ أنْ يخبركَ بالذَّنب، فقالَ تعالَى:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ (٢) .

---

(١) سورة النساء : ٨٠ .

(٢) سورة التوبة : ٤٣ . وكان النبى ﷺ قد أذن لبعض المنافقين بالتخلف عن الخروج معه للجهاد فى سبيله . . بعد أن أقسموا بأنهم لو استطاعوا الخروج معه لخرجوا . . وكان ينبغى عليه أن لا يأذن لهم حتى يتبين الذين صدقوا فى الاعتذار، ويعلم الكاذبين فيه، كما تشير بقية الآية . . وهذا الوارد فى النص عتاب من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه . والمعنى : لأى شىء أذنت لهم فى القعود حين استأذنوك . . إلخ (تفسير البيضاوى، باختصار) .

بأبى أنتَ وأُمِّى يا رسولَ الله : لقدْ بلغَ مِنْ فضيلتكَ عندَ الله تَعَالىَ أنْ بعثكَ آخرَ الأنبياءِ وذَكَرَكَ فى أوَّلهم، فقالَ عزَّ وجَلَّ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ﴾(١).

بأبى أنت وأُمِّى يا رسولَ الله : لقدْ بلغَ مِنْ فضيلتكَ عندَ الله تَعالَى أنَّ أهْلَ النَّارِ يودُّونَ أنْ يكونوا قَدْ أطاعوكَ وهُمْ بينَ أطباقِها يُعذَّبون:

﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ﴾(٢).

بأبى أنتَ وأُمِّى يا رسولَ الله : لئنْ كان مُوسَى بنُ عِمْرانَ أعطاهُ اللهُ حَجَرًا تتفجَّر منه الأنهارُ، فماذا بأعجبَ مِنْ أصابعكَ حينَ نبعَ منها الماءُ، صلَّى الله عليكَ .

بأبى أنتَ وأُمِّى يا رسولَ الله : لئنْ كانَ سُلَيمانُ بنُ داودَ أعطاهُ اللهُ الرِّيحَ غُدُوُّها شهرٌ ورَوَاحُها شهرٌ، فماذا بأعجبَ مِنَ البُراقِ حينَ

---

(١) سورة الأحزاب : ٧. فالمخاطب أولاً هو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قبل سيدنا نوح أبى البشر الثانى، وقبل سيدنا إبراهيم أبى الأنبياء، عليهما وعلى جميع الأنبياء السلام.

(٢) سورة الأحزاب : ٦٦ .

سَرَيْتَ عليه إلى السَّماء السَّابعة[1] ثم صلَّيتَ الصُّبحَ مِنْ ليلتكَ بالأبْطَح[2] صلَّى اللَّهُ عليكَ.

بأبى أنتَ وأُمِّى يا رسولَ الله: لئنْ كانَ عِيسَى بنُ مريمَ أعطاهُ اللَّهُ إحْيَاءَ المَوْتَى[3]، فمَاذا بأعجبَ مِنَ الشَّاةِ المَسْمُومَةِ حينَ كلَّمتْكَ وَهِيَ مَشْوِيَّةٌ، فقالتْ لكَ الذِّراعُ: لا تَأكلْنِى فإنِّى مسمومةٌ.

بأبى أنتَ وأُمِّى يا رسولَ الله: لقدْ دَعَا نوحٌ علَى قومه، فقالَ: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[4] ولو دَعَوْتَ علينا بمِثْلِها لهلكنا: فقدْ وُطِئَ ظَهْرُكَ، وأُدمِيَ وَجْهُكَ، وكُسِرَتْ رَباعيتكَ[5]، فأبيتَ أنْ تقولَ إلاَّ خيراً، فقلتَ: « اللَّهُمَّ اغفرْ لِقَوْمِى فَإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ» [6].

---

(١) فى ليلة الإسراء والمعراج، ليلة السابع والعشرين من شهر رجب.

(٢) الأبطح: مسيل واسع فيه دُقاق الحصى. والجمع (الأباطح)، ومنه بطحاء مكة (مختار الصحاح).

(٣) أى: بإذن الله.

(٤) سورة نوح: ٢٦.

(٥) (الرباعية) ـ بوزن الثمانية ـ: السنُّ التى بين الثنية والناب. والجمع: رباعيات.. (مختار الصحاح).

(٦) وقد قال النبى ﷺ هذا للملك الذى كان الله تعالى قد أرسله إليه بعد أن آذاه أهل الطائف ليطبق عليهم الأخشبين ـ أى: الجبلين ـ فقال هذا ضمن ما قاله. فقال له الملك: صدق مَنْ سَمّاك الرءوف الرحيم.

بأبى أنتَ وأُمِّى يا رسولَ الله: لقد اتَّبعكَ فى قِلَّةِ سِنِّكَ وقِصَرِ عُمرِكَ ما لَمْ يَتَّبع نوحاً فى كثرةِ سِنِّهِ وطولِ عُمرِه، ولقدْ آمنَ بكَ الكثيرُ، وما آمنَ مَعَهُ إلاّ القَليلُ(١).

بأبى أنتَ وأُمِّى يا رسولَ اللهِ: لو لم تُجَالِسْ إلا كفؤًا لكَ ما جَالَسْتَنَا، ولَوْ لَمْ تَنْكِحْ إلاَّ كُفؤًا لكَ ما نكحتَ إلينا (٢)، ولَوْ لَمْ تُواكِلْ(٣) إلاَّ كفؤًا لكَ ما وَاكَلْتَنَا (٤): فلقدْ واللهِ جَالَسْتَنا، وَوَاكَلْتَنَا، ونكحتَ إلينا، ولَبِسْتَ الصُّوفَ، وركبتَ الحِمَار، وأردفتَ خلفكَ(٥) ووضعتَ طعامكَ على الأرضِ، ولعقتَ أصابعكَ تَواضعاً مِنْكَ، صلَّى اللَّهُ عليكَ».. اهـ.

والآن ـ أخا الإسلام ـ أريد أن أقف معك فى ختام هذا التعليق المهم (وقفتين) إيجابيتين لابد منهما حتى ننتفع بهذا التعليق الذى لابد أن يكون له أثره الروحانى فى قلوبنا التى ينبغى أن تكون مُحبَّةً لرسول الله ﷺ الذى كان ولا يزال هو الأساس فى فلاحنا ونجاحنا.. والذى لولاه لظل العالم أجمع إلى يومنا هذا.. بل إلى لحظتنا هذه يتخبط فى ظلمات الجهل وينقاد إلى الخرافات والأوهام..

---

(١) قيل: كانوا ستة، وقيل: كانوا أربعين رجلاً وامرأة.
(٢) أى: ما تزوجت منا.. أى: من بناتنا وأخواتنا.
(٣) أى: لو لم تأكل إلا مع كفؤ لك...
(٤) أى: ما أكلت معنا.
(٥) أى: أركبت خلفك على الدابة.

ولهذا فقد قال الله تعالى مُمْتَنّاً علينا به وببعثته :

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(١) إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ(٢) وَالْحِكْمَةَ(٣) وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(٤).

** أما **الوقفة الأولى**: فحول (البيت) الذى تقول فيه عمته صفية رضي الله عنها :

لَعَمْرُكَ مـا أَبْكِي النَّبِيَّ لِفَقْدِهِ ولكنْ لِمَا أَخْشَى مِنَ الهَرْجِ(٥) آتِيَا

إنها فى هذا البيت الشعرى تُقسم بأنها لا تبكى النبى لفقده . . ولكن لمـا تخشى من الهـرج آتيـاً . (وهذا) معناه أنهـا تشـير إلى مـلاحظة مهمة . . لابد وأن نكون ـ كمؤمنين ـ قد وقفنا على المراد منها ، وهى أنه صلوات الله وسـلامه عليـه لم يفـارق الدنيـا إلا بجسـده فقـط ، ولكن هديه . . وكـل مـا أوتيـه من قـرآن وسنة . . سيظل مـوجـوداً فى عـالمنا الإيمانى الذى يتمثل فى جميع شئون حياتنا . . (ولهذا) فنحن كذلك لا نبكى فـراقه ﷺ ـ لأنه يعيش فى قلوبنا ـ وإنما نبكى فعلاً لما حدث

(١) الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.
(٢) أى : القرآن .
(٣) أى : السُّنَّة .
(٤) سورة آل عمران : ١٦٤ .
(٥) الهرج : الفتنة والاختلاط ، وبابه ضرب ، وفسَّره النبى ﷺ ـ فى أشراط الساعة ـ بالقتل .

بعده صلوات الله وسلامه عليه، من فتن كقطع الليل المظلم بسبب بُعد الناس عن تعاليمه وعدم التزامهم بما خلَّفه الرسول ﷺ من الأوامر والنواهى التى أمرنا الله تعالى فى قرآنه بتنفيذها فقال:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(١).

فكانت النتيجة الحتمية لهذا ـ الذى حدث بعده ـ هى الضياع الحقيقى الذى أصبح الآن واضحاً تمام الوضوح فى أحوال المسلمين الذين أصبحوا الآن كغُثاء السيل(٢) بسبب حبهم للدنيا وكراهيتهم للموت ـ كما جاء فى حديث شريف أخبر فيه الرسول ﷺ بهذا ـ فتخطَّفتهم الأمم الأخرى وقسَّمتهم بين أنفسهم ـ دولاً ممزقة.. (ولن) تقوم لهم قائمة إلا إذا عادوا إلى كتاب الله وسنة رسوله فجعلوهما نبراساً مضيئًا لهم فى جميع ميادين الحياة التى لابد وأن يكونوا سادة فيها.. كما كان الحال فى عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين الذين دانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب، وكان فضل الله عليهم عظيماً..

** (وعلى هذا).. فإننا لابد وأن نُقِرَّ ونعترف بتقصيرنا ونعود إلى ربنا عودة حقيقية على أساس من الإيمان القوى.. والعقيدة الطاهرة

---

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) قال فى «مختار الصحاح»: (الغُثاء) ـ بالضم والمد ـ: ما يحمله السيل من القماش.. اهـ. وإن شئت فقل: كالرغاوى التى تكون على سطح الماء.

التى لا يشوبها شَطَط[1] بتلك الصورة التى شوَّهت تاريخ الإسلام والمسلمين.

(وحسبى) أن أذكِّر الأخ القارئ بهذه الصورة الإيمانية التى جاء فى مضمونها أنه بعد وفاة الرسول ﷺ، وبعد أن أصبح الصِّدِّيقُ خليفةً لرسول الله ﷺ طلب من سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يتعاون معه فى أن يكون قاضياً بين المسلمين - بالإضافة إلى المهام الأخرى[2] - ولو لمدة يوم أو يومين فى الأسبوع.. حتى يتفرغ هو - أى: الصدِّيق - لمهام الخلافة الكبرى..

(فيمتثل عمر) لأمر الخليفة ثم يجلس فى مجلس القضاء لمدة عام كامل.. لم يحدث فيه أن ذهب إليه أحد المسلمين ليقول له: إن فلاناً ظلمنى، أو ضربنى، أو أخذ مالى، أو اعتدى على عرضى.. إلخ.

فذهب عمر إلى الصدِّيق رضي الله عنه وقال له أمام جُلسائه: **أَعْفِنِى مِنْ مَهَمَّةِ القَضَاء..**

(فقال) له الصدِّيق: **أمِنْ مَشَقَّة القَضَاءِ جِئْتَ تَطْلُبُ الإعْفَاءَ يا عُمَرُ؟!**

(فيقول له عمر): **لا يا خليفةَ رسولِ الله.. (ولكنْ) لا حاجةَ لِى عندَ قومٍ مؤمنينَ** - ثم قال واصفاً لهم[3]:

---

(١) قال فى «مختار الصحاح»: (الشطط) بفتحتين: مجاوزة القَدْر فى كل شىء.. (والمراد) هنا: مجاوزة حدود الشرع بسبب الجهل.

(٢) التى يؤديها مع صاحبه الصديق متعاوناً معه فى شئون الخلافة.

(٣) بدون مداهنة.. لأنه لم يكن من طبعه هذا.. كما هو معروف عنه.

«عَرفَ كُلٌّ منـهم ما له من حقٍّ فلم يطلبْ أكـثرَ منه، وما عـليه من واجبٍ فلمْ يقصِّرْ فى أدائه، أحبَّ كلٌّ منهم لأخيـه ما يحبُّ لنفسه، إذا غابَ أحـدُهم تَفَقَّدوه، وإذا مـرضَ عَادُوه[1]، وإذا افتقـر أعَانوه، وإذا احتاجَ سَاعَـدوه، وإذا أُصيبَ واسَوه[2].. دِينهم النَّصيـحة، وخُلُقُهم الأمرُ بالمعروفِ والنَّهى عن المنكَر. ففِيمَ يختصمونَ يا خليفةَ رسولِ الله ؟[3]».

(فـأين) نحن الآن من تلك الأخـلاق القـيِّـمـة التى لن تسـود الأمـة الإسلامية ـ كما كانت ـ إلا بها . . (ومن أجل هذا) : كان لابد وأن يكون هناك تذكير ينفع المؤمنين ـ فضلاً عن غيرهم من اللاهين الغافلين ـ حتى يتُوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى ربهم الذى يقول لداود عليه السلام :

« يَا دَاودُ: لَوْ يَعْلَمُ المُـدْبِرونَ عنِّى[4] كيفَ انتظـارِى لَهُمْ، ورِفْقِى بِهِمْ ، وَشَـوْقِى إلَى تَرْكِ مَـعَاصِـيـهِمْ .. لَمَاتُوا شَـوْقـاً إلىَّ، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُمْ[5] مِنْ مَحَـبَّتِى. يَا داودُ: إذَا كانتْ هَذِه إرَادَتِـى مَعَ المُدْبِرِينَ عَنِّى ، فكيفَ إرَادَتِى فِى المُقْبِلينَ علىَّ » .

---

(١) عادوه ، أى : زاروه .
(٢) أى : بالمال وما هو فى حاجة إليه من العون .
(٣) أى : فى أى شىء سيختصمون بعد ذلك .
(٤) أى : المبتعدون عنى .
(٥) أى : المفاصل الجسدية .

(ثم) إن النبى ﷺ قد ترك لنا زاداً كبيراً من السُّنَّة الصحيحة التى بها - فضلاً عن القرآن الكريم - نستطيع أن نوقظ أنفسنا بأنفسنا . . كما نستطيع أن نُصَحِّحَ مسيرتنا إلى الله تبارك وتعالى الذى يقول :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١) .

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢) .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا حتى يكون على صلة بالله ورسوله عن طريق القرآن والسنة : حتى لا يَضِلَّ أو يَزِلَّ، وحتى يكون مُسلماً لا مُتَمسلماً(٣) . .

** وأما عن **الوقفة الثانية**: التى أريد كذلك أن أركِّز عليها : فهى من خلال ما جاء فى كل ما وقفنا عليه من رثاء حزناً على فراق الرسول ﷺ . . ولا سيَّما على ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى الكلام النورانى الذى سُمِع بعد موت الرسول ﷺ يردِّدُه . .

(إن) كل هذا الذى وقفنا عليه، فضلاً عن غيره من النصوص التى من الممكن أن نقف عليها فى كثير من المراجع التاريخية (يشير) وبكل

---

(١) سورة العنكبوت : ٦٩ . (والسُّبل) أى: الطرق المستقيمة التى ستكون سبباً فى فلاحهم ونجاحهم ودخولهم الجنة إن شاء الله تعالى .

(٢) سورة آل عمران : ١٠١ .

(٣) أعنى : حتى لا يكون مسلماً بشهادة ميلاد فقط . كما هو الحال بالنسبة لأكثرهم فى هذا الزمان المأسوف عليه . . والعياذ بالله .

وضوح وتأكيد إلى أن الصحابة ـ عليهم جميعاً رضوان الله ـ كانوا يحبون رسول الله ﷺ بصورة منقطعة النظير حتى إن أحدهم وهو أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه ـ كما قرأت ـ ذهب ذات يوم لزيارة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى كان مريضاً . . فلما رآه الصدِّيق مرض هو الآخر من شدة حزنه عليه .

(ثم) بعد ذلك وبعد أن عادت الصحة إلى رسول الله ﷺ ذهب لزيارة الصدِّيق . . فلما رآه الصدِّيق وقد عادت الصحة إليه . . شُفِىَ هو الآخر . . اسمعه يقول مشيراً إلى هذا الحب الصادق المنقطع النظير :

مَرِضَ الحَبِيبُ فَعُدْتُه[1] فَمَرِضْتُ مِنْ أَسَفِى عَلَيهِ[2]
شُفِىَ الحَبِيبُ فَزَارَنِى فَشُفِيتُ مِنْ نَظَرِى إليهِ

* * *

(وهكذا) كان الحب الصادق مُتَبادلاً بين الرسول ﷺ وأصحابه الفضلاء . . الذين كانوا يفتدون الرسول ﷺ بكل غَال ورخيص . . حتى إن أحدهم أسرَ فى معركة من المعارك . . ثم أرادَ الأعداء بعد ذلك أن يقتلوه . . فَسألوه أولاً : ما رأيك لو تركناك تعود إلى أهلك سالماً . . ثم أتينا بمحمد مكانك لكى يُقتل بدلاً منك . . فقال لهم : إننى لا أقبل أبدًا أن أعود إلى أهلى سالماً ونبيِّى يصاب بعثرة فى إصبعه فقتلوه .

---

(١) أى : فزرته .
(٢) أى : من حزنى عليه .

وكان أحد الشعراء العرب قد شاهد هذا الموقف . . فقال واصفاً إياه :

أَسَرَتْ قريشٌ مسلماً[1] فى غَزْوَة ... فَمَضَى بِلاَ وَجَلٍ[2] إلى السَّيَّافِ

سَأَلُوهُ هَلْ يُرْضِيكَ أَنَّكَ سَالِمٌ ... وَلَكَ النَّبِيُّ فِدًى مِنَ الإِتْلاَفِ

فَأَجَابَ: كَلاَّ، لاَ نَجَوْتُ مِنَ الرَّدَى ... وَيُصَابُ أَنْفُ مُحَمَّدٍ بِرُعَافِ[3]

* * *

(بل) إن الأصحاب ـ عليهم جميعاً رضوان الله ـ كانوا يفعلون الخيرات، ويتركون المنكرات : حُبّاً لرسول الله ﷺ .

وقد قرأت ـ توضيحاً لهذا ـ أن النبى ﷺ كان يجلس ذات يوم مع بعض الأصحاب الفضلاء الذين كان فى مقدمتهم الخلفاء الراشدون عليهم رضوان الله . . فأراد أن يجعل من جلسته هذه مجلساً تربوياً من خلال حوار يُجريه بين الخلفاء الراشدين ينتفع به جميع الحاضرين من الأصحاب وغيرهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . . (فقال) ـ كما قرأت فى كتاب « المتفرقات»[4] تحت عنوان :

---

(١) هو زيد بن الدَّثِنَة ﷺ .

(٢) أى : بلا خوف .

(٣) (الرُّعاف) : الدم يخرج من الأنف .

(٤) لفضيلة الشيخ أحمد عيسى عاشور ـ عليه رحمة الله ـ طبعة دار الاعتصام .

الثلاثيات المباركات

. . قال ﷺ لأبى بكر الصديق رضي الله عنه : **أَتُحِبُّ مِنَ الدُّنيا شَيئًا ؟** .

فقال : نَعَمْ ، أحبُّ لأجلك ثلاثاً :

« **نَظَرِى إليكَ، وجُلُوسِى بينَ يديكَ، وإنفاقُ مالِى عليكَ**» .

ثم قال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : **أَتُحِبُّ مِنَ الدُّنيا شَيئًا ؟**.

فقال : نَعَمْ، أحبُّ لأجلك ثلاثًا :

«**أَمْرٌ بِمَعْروفٍ وَلَوْ كانَ سِرّاً، ونَهْىٌ عَنْ مُنْكَرٍ ولَوْ كَانَ جَهْرًا، وقَوْلُ الحَقِّ ولَوْ كانَ مُرّاً**» .

ثم قال ﷺ لعثمان بن عفان رضي الله عنه : **أَتُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا شَيئًا ؟**.

فقال : نَعَمْ، أحبُّ لأجلك ثلاثًا :

«**إطْعَامُ الطَّعَام، وإفْشَاءُ السَّلام، ورَكَعَاتٌ باللَّيلِ والنَّاسُ نِيَام**» .

ثم قال ﷺ للإمام علىٍّ ـ كرم الله وجهه ـ : **أَتُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا شَيئًا؟**.

فقال : نَعَمْ، أحبُّ لأجلك ثلاثًا :

«**إكْرَامُ الضَّـيفِ، والصِّيامُ فى الصَّـيفِ، وضَرْبُ أَعْنَاقِ المُشْـرِكِينَ بالسَّيفِ**».

** ثم بعد ذلك قال الرسول ﷺ لهم :

« **وَأنا أُحِبُّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاثـاً : الطِّيبُ ، والنِّسَاءُ[1] ، وجُعِلتْ قُرَّةُ عَيْنى فِى الصَّلاة** » .

وبعد ذلك ورد أن جبريل عليه السلام هبط على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وقال له :

« العَلِىُّ الأعلى يُقرئك السلام ، ويقول لك إنه يحب ثلاثًا :

« **لِسَانٌ ذَاكِرٌ، وقَلْبٌ شَاكِرٌ ، وَجَسَدٌ علَى البَلاَءِ صَابِرٌ** » .

ثم قال جبريل عليه السلام : وأنا أحب ثلاثًا :

« **تَبليغُ الرِّسَالة، وأداءُ الأمانة، والمَسَاكين** » .

ثم بعد ذلك . . وعندما علم الأئمة الأربعة رضي الله عنهم بهذا الخبر :

* قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه : وأنا أحب من الدنيا ثلاثًا :

« **تحصيلُ العِلْمِ فى طُولِ اللَّيـالِى ، وتَرْكُ التَّرفُّعِ والتَّعالِى، وقَلْبٌ مِنْ حُبِّ الدُّنْيا خَالٍ** » .

* وقال الإمام مالك رضي الله عنه : وأنا أحب من الدنيا ثلاثًا :

« **مُجَاورةُ رَوْضَتِه ﷺ ومُلاَزَمَةُ تُرْبَتِه[2] ، واحْتِرَامُ أَهْلِ بَيْتِه** » .

---

(١) وورد أن النبى ﷺ قال هذا أمام أصحابه حتى يكون قدوة صالحة لهم فى احترام المرأة الصالحة . . (وذلك) لأن بعضهم كان يحتقر المرأة لأنه كان ينظر إليها على أنها سلعة أو على أنها جارية تباع وتشترى . والنبى ﷺ فى قوله هذا كان يعنى زوجاته رضي الله عنهن . (٢) أى : التراب الذى كان يسير عليه الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . أى أنه يحب ملازمة مدينة الرسول ﷺ ولا يريد مفارقتها .

* وقال الإمام الشافعى رضي الله عنه : وأنا أحب من الدنيا ثلاثًا :

«عشْرةُ الخَلْقِ بالتَّلَطُّفِ، وتَرْكُ ما يؤدِّى إلى التَّكَلُّفِ، والاقتداءُ بطريقِ التَّصَوُّفِ(١)**»** .

* وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : وأنا أحبُّ من الدنيا ثلاثًا :

« متابعَةُ النبىِّ ﷺ فى أخبارِهِ، والتبرُّكُ بأنوارِهِ، وسلوكُ طريقِ آثارِهِ » .

* * *

(فلنكن) نحن كذلك من المتشبهين بهؤلاء الرجال الأوائل الذين أحَبُّوا الله ورسوله حُبّاً حقيقيّاً . . فكانوا لهذا ـ أو من أجل هذا ـ أهلاً لمحبة الله ورسوله لهم . . فاستحقوا بهذا أن يكونوا من الذين **﴿ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾**(٢) .

(وذلك) لأن الحب لله، وفى الله، هو الأساس فى كل خير . . بل ولن يتذوق الإنسان المسلم منَّا حلاوة الإيمان إلا به .

فعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال :

---

(١) وهذا التصوف الذى يعنيه الشافعى : هو الصفاء . كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله :

ولستُ أمنحُ هذا الاسمَ غيرَ فتًى ... صَافَى فصُوفِىَ حتى سُمِّىَ الصُّوفى

(٢) سورة النساء : ٦٩ .

« **ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاَوةَ الإيمانِ: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُما، وأن يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّه إلا للَّه، وأنْ يكرهَ أنْ يعودَ فى الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ فى النَّار** » . (رواه البخارى)

وفى رواية : «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجدَ حلاوةَ الإيمانِ وطَعْمَهُ: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وأن يُحِبَّ فى الله، ويبغضَ فى الله، وأنْ تُوْقَدَ نَارٌ عظيمةٌ فيقعُ فِيها أحبُّ إليهِ مِنْ أنْ يُشرِكَ باللهِ شيئاً** » . (رواه البخارى، ومسلم)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« **إنَّ اللهَ تعالَى يقولُ يومَ القيامةِ : أينَ المتحابُّونَ بِجَلاَلِى ، اليومَ أُظِلُّهم فى ظِلِّى يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلِّى** » . (رواه مسلم)

وعن أنس رضي الله عنه : «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : متى الساعة ؟ . قال : «**وما أعددتَ لها ؟**» . قال : لا شىء إلا أنِّى أحبُّ الله ورسوله . قال : «**أنتَ مَعَ مَنْ أحببتَ** » . قال أنس : فما فرحنا بشىء فَرَحَنَا بقول النبى ﷺ : « **أنتَ مَعَ مَنْ أحببتَ** » . قال أنس : فأنا أحبُّ النبى ﷺ وأبَا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحُبِّى إياهم» .

(رواه البخارى، ومسلم)

(وإذا) كان الأصحاب ـ عليهم جميعًا رضوان الله ـ قد أحبوا رسول الله ﷺ بصدق وإخلاص . . (فإننا) كذلك ينبغى علينا أن نَصْدُقَ فى حبنا لرسول الله ﷺ . . (بمعنى) أن نكون من المتمسكين بسنته، والمتأدبين بآدابه، والمتخلّقين بأخلاقه صلوات الله وسلامه عليه . . فقد ورد فى الحديث الشريف :

« مَنْ أَحْيَا سُنَّتى فَقَدْ أَحَبَّنى، وَمَنْ أَحَبَّنى كَانَ مَعِى فِى الجَنَّةِ » .

(فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا حتى يكون صادقاً فى حبه لله ورسوله ﷺ . . مع ملاحظة قول الله تبارك وتعالى لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(١) .

(وعليه) بالإكثار من الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ـ صاحب الخطب الجامعة التى وقفنا عليها ـ تنفيذاً لأمر الله تعالى فى قوله الذى يأمر فيه المؤمنين ـ ذكورهم وإناثهم ـ بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بعد أن صلى عليه مع ملائكته :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢) .

---

(١) سورة آل عمران : ٣١ .
(٢) سورة الأحزاب : ٥٦ .

مع ملاحظة : أن الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن المؤمنين دعاء.

* ولله دَرُّ من قال :

إنْ شئتَ مِنْ بَعْدِ الضَّلالة تَهْتَدِى (صلِّى) على الهَادِى البَشِيرِ مُحَمَّدِ
يا فَـوْزَ مَنْ صَلَّى عَلَـيـهِ فَـإنَّه يَحْوِى الأمَانِى بالنَّعِيمِ السَّرْمَدِى
يَا قَـوْمَنَا صَلُّوا عليـهِ فَتَظْفَرُوا بالبِـشْـرِ والعَـيْشِ الهنِىِّ الأرْغَـدِ
صَلُّوا عَلَيـهِ وارْفَـعُوا أصْـوَاتَكُمْ يُغْـفَـرْ لَكُمْ فِى يَوْمِكُمْ قَـبْلَ الغَـدِ
وَيُحِـطْكُمُ رَبُّ الأنَـامِ بِفَـضْـلِه بِأفَـاضِـلِ الجَنَّاتِ يَوْمَ المَـوْعِـدِ
صَلَّى عَـلَيـهِ اللَّهُ جَـلَّ جَـلاَلُهُ مَـا لاَحَ فِى الآفَـاقِ نَجْـمُ الفَـرْقَـدِ

* * *

* (وقد) قيل فى بعض الروايات :

إن للمصلين على سيد المرسلين عشر كرامات :

(إحداهن): صلاة الملك الغفَّار.

(الثانية): شفاعة النبىِّ المُختار.

(الثالثة): الاقتداء بالملائكة الأبرار.

(الرابعة): مخالفة المنافقين والكفَّار.

(الخامسة): مَحْوُ الخَطايا والأوزار.

(السادسة): قضاء الحوائج والأوطار.

(السابعة): تنوير الظواهر والأسرار.

(الثامنة): النجاة من النار.

(التاسعة): دخول دار القرار.

(العاشرة): سلام الملك الغفَّار.

وما أجمل أن يقول الأخ المسلم مع الإمام الكبير الشيخ محمود خطَّاب السبكى[1] وهو يمدح رسول الله ﷺ :

طَهَ الَّذى عَمَّ الأنامَ بِفَضْلِه ... سَادَ النَّبِيِّينَ الأُلَى مِنْ قَبْلِه

هُوَ صَفْوَةُ البَارِى وَخَاتَمُ رُسْلِه ... يَاأيُّها المُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِه

إنْ تَبْتَغُوا أَجْرًا يَكُونُ جَزِيلاَ ... صَلُّوا عَلَيهِ بُكْرَةً وأَصِيلاَ

***

اللَّهُ أَدْنَاهُ إِلَيهِ وقَرَّبَا ... فَعَلاَ مَقَاماً لَمْ يَنَلْهُ أُولُو النُّبَا

وَلَهُ يَقُولُ: ابْشِرْ فَأَنْتَ المُجْتَبَى ... أَهْلاً وَسَهْلاً بالحَبِيبِ وَمَرْحَبَا

أَنْتَ الَّذِى تَسْتَوْجِبُ التَّفْضِيلاَ ... صَلُّوا عَلَيهِ بُكْرَةً وأَصِيلاَ

***

(١) كما جاء فى كتابه: (المقامات العليَّة) فى النشأة الفخيمة النبويَّة.. فعليه رحمة الله.. وجزاه الله عنا أحسن الجزاء.. فهو محيى السنة فى القرن العشرين.. ومؤسس الجمعيات الشرعيَّة.

مَـلأتْ نُبُـوَّتُه الوُجُـودَ وأظْهَـرَا بِحُسَامِهِ الدِّينَ الصَّحِيحَ فأسْفَرَا
وَاسْتَبْشَرَتْ فَرَحاً بِبَعْثَتِه الوَرَى وَمَحَـا الضَّلالَ كـمَا بِذَلكَ خَـبَّرَا
نَصُّ الكِتَـابِ مُفَـصَّلاً تَفْـصِيـلاَ صَلُّوا عَـلَيـهِ بُكْرَةً وَأَصِـيـلاَ

***

وَالسُّـحْبُ لا تَحْكِي عَطَايَاهُ فَمَـا أَنْدَاهُ بَحْـرًا بِالسَّخَـاءِ وأكْرَمَـا
أَنْعِمْ بِمَنْ أَسْنَى الكَمَالِ لَهُ انْتَمَى مَـوْلاَهُ قَدْ صَلَّى عَلَـيهِ وَسَلَّمَـا
مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيـهِ كَـانَ بَخِيـلاَ صَلُّوا عَلَـيـهِ بُكْـرَةً وَأَصِـيـلاَ

* * *

(ثم اعمل) كذلك بنصيحته التى يقول فيها أيضًا فى مقاماته العليَّة :

اعْـمَلْ بِـآثارِ النَّـبِـيِّ فَـإِنَّهَـا النُّورُ المُـبِـينْ
وَاقْبَلْ نَصِـيْحَتَـهَا فَفِيْـهَا العِـزُّ وَالشَّـرَفُ المَكِينْ
وَاشْدُدْ يَمِينَكَ بِالشَّرِيعَةِ إِنَّهَـا السَّـبَـبُ المَتِـينْ
خَـيْـرُ البَـرِيَّةِ أَحْـمَـدُ وَالحَقُّ يَصْـحَـبُهُ اليَـقِـينْ
ذُو قُـوَّةٍ عِـنْدَ الإِلَـ ـهِ مُـقَـرَّبٌ مِنْهُ مَكِينْ
زَانَ النَّبِـيُّـونَ الوَرَى وَمُـحَـمَّـدٌ لَـهُـمُ يَـزِيـنْ
هَادٍ إِلَـى طُرُقِ النَّـجَـا ةِ مُـؤَيَّدٌ فِـيْـهَـا أَمِـينْ

وَالْهَجْ بِمَـدْحِ الهَـاشِـمِـ ـــيِّ فَإِنَّهُ الحِصْنُ الحَصِينْ
وَلَئِنْ فَـعَلْتَ فَلَنْ تَـفُـو تَـكَ ـ بَعْـدَ ذَا ـ دُنْيَا وَدِينْ

* * *

فـاللهمَّ صَلِّ على مَنِ انتخـبـته مِنْ أشـرفِ قبـيلة، وجَعلتَـه إليكَ وَسيلة، وجـعلتَ الصلاةَ عليـه أكرَمَ فَـضيلة،وأعْلَيْـتَه إلى المَـرتبةِ الجليلة، وجعـلتَه بينَكَ وبينَ عبـادِكَ وسيلة، اللهمَّ صلِّ عليـه صَلاةً تجعلهـا بينَنا وبينَ عذابِكَ حجابًا، وتجـعلُها لَنا إلى كرامتـكَ مَثَابًا، وتفتحُ لَنا بها إلى الجَنَّةِ العَاليةِ بابًا. اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ عددَ قطرِ الأمطار، وعددَ رمالِ الأوديةِ والقِفَـار، وعددَ ورقِ الأشجار، وعددَ زَبَدِ البحـار، وعددَ أهلِ الجَنَّةِ وأهلِ الـنَّار، وعددَ الأبرارِ والفُجَّـار، وعـددَ مـا يختلجُ فى الليلِ والنهـار، واجعلِ اللهمَّ صلاتَنا عليـه حجابًا مِنْ عذابِ دارِ البـوار، وسَبـباً لإباحةِ دارِ القَـرار ، اللهمَّ صَلِّ على محـمَّدٍ النبىِّ المخـتار ، وسيِّـدِ الأبرار، وزَيْنِ المُرْسَلينَ الأخيـار، وأكْرَمِ مَن أظلمَ عليـه اللَّيلُ وأشـرقَ عليـه النَّهـار، أبِى القَـاسمِ النبىِّ الصـادقِ المختار. اللهمَّ صلِّ عليه عـددَ مَنْ صَلَّى عليه وعددَ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عليه كما أمرتَ بالصلاةِ عليـه، وصَلِّ عليه ما تُحبُّ أن يُصَلَّى عليه، وَصَلِّ

عليـه كَـما يَنـبغى أنْ يُصَـلَّى عليه. الـلهمَّ صلِّ علَى النبىِّ الصـادقِ الأوَّاب، وعلَى ذُرِّيَّته وعلَى جـميعِ القَرابةِ والأصْـحَاب، وتَوَفَّنَا اللهمَّ علَى سُنَّتـه، واجْـعَلْنا مِنْ أهلِ وِلَايتـه، وانْفَعْـنَا بِهدَايتـه وَعِنَايتـه، وأَدْخِلْنَا الجَنَّةَ مَعَ صَحَابَته .. الأبرار .. الطَّيِّبينَ الأخْيَار .

أَزْكَى صَلاةٍ مَع سَلاَمٍ عَاطِرٍ يَنْمُو بِهِ يَوْمَ الحَصَادِ حَصَادِى[1]

اللهم آمين . . اللهم آمين . . اللهم آمين .

* * *

(١) بستان الواعظين : ص ٤٠١ وما بعدها .

أهم مراجع الكتاب

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ مختصر تفسير الطبرى ، طبعة دار التراث العربى ، القاهرة .

٣ ـ (الدين الخالص) ج٤ للإمام محمود خطاب السبكى ـ عليه رحمة الله .

٤ ـ (جمهرة خطب العرب فى العصور العربية الزاهرة) ـ (ثلاثة مجلدات) ، تأليف الأستاذ أحمد زكى صفوت ـ طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـ بمصر .

٥ ـ (الترغيب والترهيب) للإمام المنذرى (أربعة مجلدات) ـ طبعة مكتبة الجمهورية العربية بمصر . وتحقيق وتعليق فضيلة الشيخ خليل الهراس ـ رحمه الله .

٦ ـ (رياض الصالحين) للإمام النووى ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٧ ـ (مختار الصحاح) طبعة وزارة المعارف ـ للشيخ الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ـ رحمه الله .

٨ ـ (حياة الصحابة) للشيخ محمد يوسف الكاندهلوى (ثلاثة مجلدات) طبعة دار التراث العربى ـ القاهرة .